جامعة محمد بوضياف المسيلة

كلية العلوم الانسانية والاجتماعية

قسم العلوم الاسلامية

الموسم الجامعي: 2022/ 2023

السنة الأولى: ماستر شريعة وقانون الفقهية **الأستاذ: عمر روينه**

المقياس: المدارس الفقهية والقانونية **المحاضرة الأولى: المدارس الفقهية**

الأهداف:

- **نشأة المدارس الفقهية**
- **مدرسة الحديث وروادها**
- **أصول ومبادئ مدرسة الحديث**

المراجع

1. **المدخل الى دراسة المداس والمذاهب الفقهية، عمر سليمان الأشقر.**
2. **تاريخ التشريع الاسلامي، مناع القطان.**
3. **تاريخ التشريع الاسلامي، الشيخ محمد الخضري بك.**
4. **تاريخ المذاهب الاسلامية، محمد أبو زهرة.**
5. **فلسفة القانون والسياسة، عبد الرحمن بدوي عشوش.**
6. **مقدمة لدراسة فلسفة القانون، فايز محمد حسين.**
7. **الوجيز في فلسفة القانون، إدريس فاضلي.**
8. **القانون الدولي الخاص، أحمد عبد الحميد. –**
9. **مقدمة لدراسة فلسفة القانون، فايز محمد حسي الوجيز في القانون، إدريس فاضلي.**

.

مدخل:

يذكر الشيخ مناع القطان في كتابه تاريخ التشريع الاسلامي أن عصور التشريع في رأي البعض مرت بأدوار ستة وهي:

الدور الأول: عهد التشريع من البعثة الى وفاته صلى الله علية وسلم (11هـ)،

الدور الثاني: عصر الخلفاء الراشدين (11-40 هـ) ويسمى بالدور الفقهي الأول،

الدور الثالث: عصر صغار الصحابة وكبار التابعين يمتد الى بداية القرن الثاني الهجري حيث مات اخر الصحابة بمكة أبو الطفيلي عامر بن ماثلة الليثي سنة (110هـ)،

الدور الرابع: الفقه في أوائل القرن الثاني إلى منتصف القرن الرابع الهجري،

الدور الخامس: الفقه في منتصف القرن الرابع إلى سقوط بغداد سنة 656هـ،

الدور السادس: الفقه من سقوط بغداد الى الوقت الحاضر.

ويهمنا من هذه الأطوار الطور الرابع حيث ظهرت المدارس الفقهية والمذاهب والتي كانت خلاصة مذاهب ومدارس فقهاء الصحابة والتابعين ومن اقتدى بهم.

نشأة المدارس الفقهية

لم يكن في عهد النبوة سوى مدرسة فقهية واحدة هي مدرسة الوحي يمثلها شخص النبي ﷺ الله عليه وسلم، وطلاب هذه المدرسة هم الصحابة رضي الله عنهم، وبرنامجها التعليمي هو القران الكريم والسنة الشريفة. وظل هذا حالهم إلى أن انتقل ﷺ إلى ربه فواصل الصحابة دربهم التعليمي على منهج النبوة.

ولعل أول إشارة لتأسيس المدارس الفقهية أو وضع نواة لها صدرت عن الرسول ﷺ، وذلك حين أمر بعض الصحابة الذين تفقهوا في الدين أن يتفرقوا في الأمصار ليُعَلمُوا

غيرهم تعاليم الإسلام وليتصلوا بملوك الأقطار المجاورة ليعرضوا عليهم الإسلام، ولذا انبرى جمع منهم لتبليغ تعاليم الإسلام لهم عملا بتوجيهاته صلى الله عليه وسلم.

كما أن وفاة النبي ﷺ وانقطاع الوحي يعتبره البعض أحد اسباب ظهور المدارس، حيث ظهرت الحاجة إلى مرجع يحتكمون إليه عند اختلافهم أو يستفتونه فيما استجد من نوازل فكانت الضرورة تدعو إلى الاجتهاد، وبفتح باب الاجتهاد تمايزت بعض اجتهادات فقهاء الصحابة وتناغم بعضها الآخر بما شكل ما يسمي نواة مدرسة المدينة ونواة مدرسة الكوفة ونواة مدرسة مكة ففي بداية الأمر كان ما يسمى بالمدارس تنسب الى المدائن التي نشأت بها كما رأينا.

وبالاجتهاد تطورت فكرة التعليم بالصورة التي بدأها الرسول ﷺ في عهد الصحابة ثم تطورت أكثر في عصر التابعين إلى أن أصبح مفهوم المدرسة تيارا فكريا يمثله فئة من العلماء يجمعهم تقارب فكري ومنهجي وأصبحت المدرسة تعني مجموعة من الباحثين المتخصصين الذين تميزوا بكفاءتهم العلمية وقدرتهم على الاجتهاد والاستدلال واستنباط الأحكام مع اتفاقهم في أكثر القضايا. وحينها أصبحت تلك المدارس تمثل تيارات فكرية تجاوزت حدود تلك المدن التي نشأت بها في الجزيرة العربية وبلغت كل الأمصار الإسلامية وسميت كل مدرسة بأهم ما تعرف به وتتميز به عن غيرها ففي بلاد الحجاز سميت مدرسة الحديث، وفي العراق سميت مدرسة الرأي، وفي العراق ثم الأندلس سميت مدرسة الظاهر... وفي عهد الأئمة أصبحت المدارس أو المذاهب تسمى بمؤسسيها رغم أن المذهب ساهم فيه عدد معتبر من أهل العلم.

لقد دأب جل الباحثين في تاريخ الفقه الإسلامي في عصر ظهور المدارس والمناهج الفقهية في القرن الثالث الهجري وبعد أن تبلورت وتطور ما كان يسمى نواة

مدارس في عهد الصحابة على تصنيف المدارس الفقهية إلى: مدرستين كبيرتين هما: مدرسة الحديث ومدرسة الرأي.

1ـ مدرسة المدينة (أهل الحديث)

تميزت المدينة المنورة بعد العصر النبوي بوجود جل فقهاء الصحابة، الذين كانوا مرجعا لمن جاء بعدهم ويذكر ابن تيمية أن سائر أمصار المسلمين كانوا منقادين لعلم أهل المدينة لأنها منزل جل فقهاء الصحابة وتعلم أهلها من رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمعوا منه مباشرة ومنهم الخلفاء الأربعة، وكانت لهم مذاهب فقهية مثل: مذهب عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وأبو هريرة، وعائشة بنت أبي بكر، وزيد بن ثابت، وابن عباس، وابن عمر، وابن مسعود، رضي الله عنهم جميعا، وغيرهم. وكانت لهم اجتهادات ومذاهب فقهية وشكلوا بذلك بداية تأسيس مذاهب ومدارس الفقه الإسلامي، من خلال ظهور المدارس الفقهية فيما بعد والتي كان أشهرها وأكثرها انتشارا: مدرسة الحجاز في المدينة المنورة والتي عرفت باسم مدرسة أهل الحديث يمثلها الصحابة الذين عاشوا بالمدينة إلى جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم وحفظوا عنه الحديث ونقلوه إلى غيرهم من الصحابة والتابعين فكان من الطبيعي أن يأخذ فقهاء هذه المدرسة فقه الصحابة من الرعيل الأول.

ويرجع البعض ظهور مدرسة الحديث في الحجاز إلى كثرة الحديث في الحجاز وقلته في العراق ويتبنى هذا الرأي كل من عبد اللطيف السبكي، وبابكر خليفة، ومدكور محمد سلام ورمضان علي السيد الشرباصي وغيرهم. ويرى البعض أن فقهاء التابعين أخذو مروياتهم عن فقهاء الصحابة ويشير إلى ذلك ابن حزم في حديثه عن رحلات علماء التابعين في العراق إلى المدينة لتلقي الحديث فيقول: (رحل علقمة والأسود على عائشة وعمر ورحل علقمة إلى أبي الدرداء. وكان الحسن البصري إذا أشكل عليه أمرا ما في البصرة كتب إلى سعيد بن المسيب. يذكرون على سبيل المثال: رحلة أبي سلمة بن عبد

الرحمن أحد فقهاء المدينة إلى العراق وانه التقى بعلماء كبار التابعين، وكذلك عامر بن شراحبيل يقول: أقمت بالمدينة مع عبد الله بن عمر ثمانية أشهر وهو عالم الكوفة وقاضيها المشهور وهذه الإقامة كانت لغرض علمي بدليل كان يفتخر عامر بن شرحبيل الشعبي بأنه لازَم أحد أكبر كبار المفتين من الصحابة.

يتفق الباحثون بأن عصر التابعين هو عصر ظهور هاتين المدرستين وأن علماء التابعين من أهل الحجاز بصفة عامة هم رواد مدرسة الحديث بعد أن تبلور مفهوم المدرسة. ويقول الشهرستاني: (أصحاب الحديث وهم أهل الحجاز هم أصحاب مالك بن أنس وأصحاب محمد بن ادريس الشافعي وأصحاب سفيان الثوري...) كما يذكر شيخ الإسلام: (أن سائر أمصار المسلمين كانوا منقادين لعلم أهل المدينة لا يعدون أنفسهم أكفأ منهم في العلم) وقد كان كبار العلماء يقدمون علماء المدينة عن غيرهم من علماء الأمصار الإسلامية. ورُوي أن الإمام الشافعي كان يفضل الإمام مالك على أبي حنيفة اعتقادا منهم أن مذاهب علماء المدينة أصح المذاهب ولذا يقول بن تيمية: (كان مذهب أهل المدينة أصح مذاهب أهل المدائن فإنهم كانوا يتأسون بأثر رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من سائر الأمصار وكان غيرهم من أهل الأمصار دونهم علما في العلم بالسنة النبوية) ولهذا فإجماع علماء المدينة معتبرا وعند الامام مالك حجة ويعني بذلك إجماع فقهاء وفضلاء أهل المدينة.

1.1. تسمية مدرسة أهل الحديث

يبدو من ظاهر التسمية أن نسبة المدرسة إلى حديث رسول الله صلى الله عله وسلم هو اعتبارا لما عرفت به من تميز في اهتمامها وتمسكها بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ويذكر الشهرستاني: (وإنما سُمُّوا بأصحاب الحديث لأن عنايتهم بتحصيل الأحاديث ونقل الأخبار وبناء الأحكام على النصوص ولا يرجعون إلى القياس الجلي ولا

الخفي ما وجدوا خبرا أو أثرا)، وقد كان عمر ابن عبد العزير يفضل علماء المدينة ويرسل إليهم يستفتيهم رغم وجود علماء الحديث والفقه في دمشق عاصمة الدولة حينذاك.

2.1. أعلام مدرسة أهل الحديث

كانت البداية مع فقهاء الصحابة بالحجاز نذكر منهم: ابن عباس في مكة المكرمة، وزيد بن ثابت وعبد الله بن عمر رضي الله عنهما في المدينة، وكان لفتا ويهم أثرا في تكريس الاهتمام بالنص والتمسك به والعزوف عن إعمال الرأي إلا للضرورة القصوى وهو ما يوضحه قول الامام الشعبي عامر بن شرا حبيل (20ـ100هـ): (ما جاءكم به هؤلاء من أصحاب رسول الله ﷺ فخذوه وما كان من رأيهم فاطرحوه في الحش). يمكن اعتبار فقهاء المدينة السبعة الرعيل الأول من التابعين الذين كان لهم الفضل في وضع أسس هذه المدرسة وهم سعيد ابن المسيب (ت93هـ)، عروة ابن الزبير(ت94هـ)، أبوبكر بن عبد الرحمان بن الحارث (ت94هـ)، خارجة بن زيد بن ثابت (ت100هـ)، سليمان بن يسار (ت100هـ)، عبيد الله ابن عبد الله بن عقبه (ت102هـ)، القاسم بن محمد بن ابي بكر الصديق (ت107هـ)، وقد اختلفوا في سليمان بن يسار فقيل السابع هو أبو سلمة بن عبد الرحمان وقيل هو سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب وقيل هو أبو بكر بن عبد الرحمان بن الحرث بن هشام. وباختصار انتهت مرجعية مدرسة أهل الحديث إلى الأئمة: مالك، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وسفيان الثوري، .... وهو ما يشير إليه الشهرستاني: (أصحاب الحديث هم أصحاب الحجاز مالك بن أنس وأصحاب محمد بن ادريس الشافعي وأصحاب سفيان الثوري وأصحاب داود بن علي الأصفهاني). كما تجدر الإشارة أنه بعد وفاة الإمام مالك (93ـ197هـ) برزت بغداد كأهم معقل لمدرسة أهل الحديث وظهر هناك علماء أعلام منهم: أحمد ابن حنبل، واسحاق بن رهويه، ... ومن أشهر علماء الحديث في القرن الثاني الهجري: يحي بن سعيد، والليث بن سعد،

والأوزاعي، وسفيان الثوري، ووكيع بن الجراح، ... أما أشهر علماء الحديث في القرن الثالث فهم: البخاري، ومسلم، والترمذي، وابن ماجه.

3.1. أصول مدرسة أهل الحديث

من مبادئ مدرسة الحديث التمسك الشديد بالنص قرآنا وسنة ويوجز هذا المعنى عامر بن شراحبيل الشعبي بقوله : ما جاء كم به هؤلاء من أصحاب رسول صلى الله عليه وسلم فخذوه وما كان من رأيهم فاطرحوه في الحش(مكان القذرات) وروي أن سائلا سأل سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب فقال له: لم أسمع في هذا شيئا فقال له السائل: أخبرني أصلحك الله برأيك قال: لا.

ثم أعاد عليه السؤال وقال له: إني أرضى برأيك فقال سالم إني لعلي إن أخبرتك برأيي ثم تذهب فأرى بعد ذلك رأيا غيره فلا أجدك وهذا تحرجا من الفتوى والاجتهاد خوفا من الوقوع في الخطأ ولذا كان من مبادئهم وأصول مدرستهم ما يلي:

أولاً: الدليل الأول عندهم هو القرآن وهو أصل في كل استدلال مقدم على كل الأصول فإذا كان النص القرآني يحتمل وجوها فالسنة الشريفة هي القاضية، فان لم يجدوا في القرآن الحكم انتقلوا إلى السنة.

ثانياً: السنة وهي الأصل الثاني إذا لم يوجد حكم المسألة في القرآن نظروا في السنة ولا يشترطون سوى صحة الحديث إذ لا يشترطون عمل الصحابة أو التابعين بالحديث ومتى صح الحديث تمسكوا به.

ثالثاً: إذا أفرغوا جهدهم في تتبع الأحاديث ولم يجدوا في المسألة حديثا نظروا في أقوال الصحابة والتابعين فإن اتفق جمهور الفقهاء أخذوا برأي الجمهور وإن اختلفوا أخذوا برأي أعلمهم فان وجودوا مسألة يستوي فيها الخلاف فهي مسألة مختلف فيها.

رابعاً: إذا لم يجدوا نصا من القرآن أو من السنة يتعلق بالمسألة نظروا في ايماءات واقتضاءات نصوص الكتاب والسنة وحملوا المسألة على نظيرتها.

خامساً: ومن أصولهم الإجماع، إجماع السلف وهو حجة ملزمة لمن بعدهم إذ هم أعلم

الناس بدين الله.

سادساً: ومن أصولهم الاشتراط في قبول القياس والاجتهاد أنه لا يُلجأ إليهما إلا عند الضرورة وبعد عرضهما على القران والسنة.

سابعاً: كراهيتهم لكثرة السؤال عن أمور لم تقع وهو ما يسمى بالفقه الافتراضي.

ويقول الإمام محمد الغزالي رحمه الله: هل هناك فقهاء يطرحون النص ويتبعون رأيهم؟ وهل هناك فقهاء يلتزمون النص دون إعمال الفكر؟ ويجيب بالنفي. ويرى أن هذا العنوان "مدرسة الأثر أو الحديث" يحتاج إلى تدقيق وتفسير ويضرب مثلا للتوضيح يخص زكاة الزروع: روى البيهقي عن أبي موسى الأشعري ومعاذ بن جبل حين بعثهما النبي ﷺ إلى اليمن فقال: (لا تأخذوا الصدقة إلا من هذه الأربعة الشعير والحنطة والزبيب والتمر) وأخرج الطبراني عن عمر قال: إنما سن الرسول ﷺ الزكاة في هذه الأربعة (الشعير والحنطة والزبيب والتمر). وجاء عن الشعبي أنه قال: كتب رسول الله ﷺ إلى أهل اليمن (إنما الصدقة في الحنطة والشعير والتمر والزبيب). فمن تقيد بحرفيه النص من الفقهاء أفتى بأن الزكاة لا تجب إلا في الأربعة المذكورة ولا تجب في الذرى والأرز والعدس وغيرها. أما أبو حنيفة وغيره خاصة علماء العصر فأفتوا بأن الزكاة تجب في كل المنتوجات الأساسية المذكورة وغير المذكورة. وفتوى الإمام أبو حنيفة مستندة إلى قوله ﷻ: (وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ) سورة: الأنعام، الآية: 141.

ويرى الشيخ محمد الغزالي أن تفسير أبو حنيفة وجيه من ناحيتين: أولاهما إنه يحفظ حق الفقراء في كل قطر مهما تنوعت زروعه وثانيتهما أنه يمثل عالمية الإسلام فهو دين للقارات الخمس ويتجاوب مع كل مزروعاتها ليس جزيرة العرب فقط.

,,,